مراسلات متبادلة
بين الشريف غالب بن مساعد
وبين نابليون بونابرت ورجال حملته على الشرق

د. محمد زكريا عناني

مهما اختلفت الأحكام حول العملة الفرنسية على مصر والشرق (١) (١٢١٣ - ١٢١٦هـ ، ١٧٩٨ - ١٨٠١م) ، فالذي لا ريب فيه أن هذه العملة اثرت تأثيرا عميقا في الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية في الشرق ، وكانت عاملا فعالا في القضاء على نفوذ المماليك ، وفتح المجال أمام محمد علي لكي يؤسس دولة مصر الحديثة .

ومهما قست آراء المؤرخين ، وهي تتناول دور الشريف غالب ابن مساعد (٢) ، فالثابت أن الرجل كان في عصره قوة لا يستهان بها ، وبحسبنا أن نسوق هنا ما قاله عنه الجبرتي في « عجائب الآثار » ، في حوادث سنة ١٢٣١هـ :

« ومات الأجل المكرم الشريف غالب بسلانيك ، وهو المنفصل من عمارة مكة وجدة والمدينة ، وما انضاف الى ذلك من بلاد الحجاز ، فكانت امارته نحوا من سبع وعشرين سنة ، فانه تولى بعد الشريف سرور ، في سنة ثلاث ومائتين والف ، وكان من دهاة العالم ، واخباره ومناقبه تحتاج الى مجلدين ، ولم يزل حتى سلط الله عليه بأفاعيله هذا الباشا (يقصد محمد علي) ، فلم يزل يخادعه حتى تمكن منه ، وقبض عليه ، وأرسله الى بلدة سلانيك ، وخرج من سلطنته وسيادته الى بلاد الغربة ، ونهبت أمواله ، وماتت أولاده وجواريه ، ثم مات هو في هذه السنة » (٣) .

وقد وصلت الحملة الى الشرق ، والشريف غالب في أوج نفوذه وقوته ، ومن الطبيعي – والأمر كذلك – أن نرى نابليون بونابرت يحرص أشد الحرص على توطيد الصلات به ، والحق أن أسباب هذا الحرص من جانب نابليون لها مبرراتها السياسية والحربية والدينية المتعددة ، وهذه الأسباب تتلاحم وتتشابك ، على نحو ما تكشف عنه الرسائل التي ننشرها اليوم ، – وهي واضحة الدلالة في هذا الصدد – ، فقد كان نابليون يعلم جيدا أن لا قبل لبلاده على التصدي للأسطول البريطاني الذي يشدد الخناق على الحملة ، ويسعى جاهدا ليقطع عنها كل سبل المعونة والاتصال بفرنسا ، ومن ثم كان لزاما عليه ، وعلى كل من كليبر ومينو اللذين توليا القيادة من بعده ، أن يجدوا لهم أعوانا في المناطق الأخرى المجاورة ، وأن يهيئوا وسائل اتصال غير مباشرة تربطهم بالسلطة العليا في باريس (وتكشف الرسائل التي نقوم اليوم بنشرها أن شريف مكة كان أحد هذه الوسائل) ·

وفضلا عن ذلك فان مصر ما كانت لتستطيع الاستغناء عن متاجر الهند وأفريقيا واليمن ، التي كانت تأتي اليها عن طريق البحر الأحمر ، وكان لشريف مكة دور فعال في نقل هذه المتاجر الى ميناء السويس ·

على أن الاعتبار الديني كان يحتل منزلة الصدارة من بين هذه العوامل ، فقد كان نابليون بونابرت يعلم جيدا أن العقبة الكبرى التي تواجهه هي عقبة الدين (٤) ، ومن ثم بذل قصارى جهده من أجل تملق مشاعر الأمة ، على نحو ما يتضح من المنشور الأول الذي بدىء في طبعه على ظهر الباخرة « أوريان » ، قبل وصول الحملة للاسكندرية بأيام ، ووزعت منه الوف النسخ :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لا اله الا الله ، لا ولد له ولا شريك له في ملكه · من طرف الفرنساوية المبني على أساس الحرية والتسوية ··· » ، وفي آخره يدعو الأهالي أن يلتزموا السكينة لأنه ما جاء الا ليؤدب المماليك ، ويحثهم على « أن يشكروا الله سبحانه وتعالى لانقضاء دولة المماليك ، قائلين بصوت عال : أدام الله اجلال السلطان العثماني أدام الله اجلال العسكر الفرنساوي ، لعن الله المماليك ··· » (٥) ، ومن دلائل ذلك ما كتبه نابليون الى الشيخ محمدّ المسيري ، أحد علماء الاسكندرية في رسالة بعث بها من القاهرة :

« لقد سرني ما علمته من الجنةال كليبر عن مسلككم ، وانك تعلم مدى احترامي لك منذ عرفتك ، واتعشم أن يجيىء الوقت الذي أستطيع أن أجمع عقلاء البلاد وعلماءها ، وأن أضع نظاما موحدا مؤسسا على مبادىء القرآن ، تلك المبادىء الصحيحة التي تكفل للناس سعادتهم » (٦) ·

وقد بلغت هذه السياسة أوجها عند جاك مينو ـ الذي كان حاكما على ثغر رشيد ، قبل أن يتولى القيادة العامة عقب مصرع كليبر ، فقد تظاهر باعتناق الدين الحنيف ، وتسمى ب « عبد الله جاك منو » وسعى حتى تزوج بامراة مسلمة ، وجاء في عقد الزواج : « بعد أن أقر وأعترف منو باشا ساري عسكر بالقطر المصري حالا بصريح لفظه وفصيح نطقه بكلمتي الشهادتين وهما أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، عارفا معتقدا معناهما ، ومصدقا بمضمونهما ، تاركا لدين النصرانية والأديان الرديئة على الترتيب والولاء واعادة التشهد واستيفاء الشروط المعتبرة فيهما شرعا طائعا مختارا من غير اكراه ولا اجبار ، وبمقتضى ذلك صار له ما للمسلمين ، وعليه ما عليهم ، وظهر منه الرغبة والحب للمسلمين والميل اليهم ، وسمى نفسه عبد الله باشا ... » (٧) ·

وهناك ـ في هذا الصدد ـ وثائق واجراءات ومواقف عديدة لم تلبث أن رفعت راية الجهاد ، وأعلنت غضبها المرة بعد الأخرى ، الى أن ارتحلوا عن البلاد (٨) ·

وقد سعينا لجمع أكبر قدر من نصوص الرسائل المتبادلة بين الشريف غالب بن مساعد ، وبين نابليون بونابرت ورجال حملته على الشرق من مصادر عربية وفرنسية ، بعضها عزيز الوجود ، وبيانها كالتالي :

● مجلد ضخم يضم قرابة خمسين وثيقة مما طبع بالقاهرة بمطابع الحملة الفرنسية ، وهذا المجلد ـ المحفوظ بالمكتبة الوطنية بباريس ـ يحمل الأن العنوان التالي :

“ Recueil des arretes et proclamation de L’autorite francaise en Egypte pendant L’ occupation ”

« مجموعة القرارات والبيانات التي أصدرتها السلطة الفرنسية في مصر في أثناء الاحتلال » ، وهي محفوظة تحت رقم : Gr. fol. L. h. 4117

● « عجائب الآثار في التراجم والأخبار » لعبد الرحمن الجبرتي ويضم نص رسالة تبودلت بين الشريف غالب و « مدير الحدود بوسليك » ، وكان مسئولا عن ادارة الشئون المالية للحملة ·

● افادة الأنام (مخطوط) لعبد الله غازي · وفيه نص رسالة بعث بها نابليون بونابرت للشريف غالب · وقد نقلناها عن كتاب « تاريخ مكة » للأستاذ أحمد السباعي (٩) ·

- Oeuvres de Napoléon Bonaparte

«أعمال نابليون بونابرت» ، طبعة سنة ١٨٢١م (باريس) وفيها بعض رسائل موجهة للشريف غالب .

- F. Rousseau, “Kleber et Menou en Egypte depuis le depart de Bonaparte ”, Paris, 1900

روسو : «كليبر ومنو في مصر منذ رحيل بونابرت» ، ط. سنة ١٩٠٠ (باريس) .

وبالكتاب نص رسالة أرسلها منو للشريف غالب ، لم ترد في كل المراجع السابقة .

هذه هي المؤلفات التي عثرنا فيها على مراسلات بين شريف مكة ورجالات الحملة الفرنسية ، ولا شك أن المزيد من التنقيب كفيل بأن يضيف جديدا في هذا المضمار (١٠) .

★★★

[] الرسائل مرتبة ترتيبا تاريخيا ، مع تعريب للرسائل المدونة بالفرنسية .

الرسالة الأولى

وترد في نصها الفرنسي ضمن «أعمال نابليون» ، وقد كتبت في ٢٥ أغسطس سنة ١٧٩٨م (ربيع الأول من سنة ١٢١٣) فاذا علمنا أن الفرنسيين نزلوا غرب الاسكندرية في ١٨ محرم سنة ١٢١٣هـ (٢ يوليو ١٧٩٨م) ، وأن نابليون انتصر على المماليك في واقعة امبابة (معركة الأهرام) في ٧ صفر ١٢١٣هـ (٢١ يوليو ١٧٩٨م) عرفنا أن نابليون بونابرت بعث برسالته هذه للشريف غالب ، بعد دخوله القاهرة بنحو شهر من الزمان ، وفي هذا دليل على مدى الأهمية التي أولاها لهذا الأمر ، فقد كانت تحيط به متاعب شتى ، منها — على سبيل المثال — تحطم أسطوله في في موقعة أبو قير (أول أغسطس سنة ١٧٩٨م) واشتعال المقاومة في أنحاء متعددة ، ورغبته في احداث تنظيمات ادارية عاجلة يسير بها شئون مصر :

ترجمة نص الرسالة :

« القاهرة ، في ٨ فريكتيدور من العام ٦ (٢٥ أغسطس ١٧٩٨)

الى شريف مكة

انني اذ اخطركم بدخول الجيش الفرنسي مصر أعتقد أنه من الواجب ان اطمئنكم على عزمي الوطيد على أن أحمي بكل السبل رحلة الحجيج الى مكة ، وستظل المساجد وكل الأوقاف التي لمكة والمدينة في مصر في حوزتهما كما كانت في الماضي ٠ أننا أصدقاء للمسلمين ولعقيدة الرسول ، ونحن راغبون في القيام بكل ما من شانه أن يسركم ويكون في صالح الدين ٠

واني لأرغب في أن تعلنوا في كل مكان أن قافلة الحج لن تعاني من أي توقف ، ولن تخشى شيئا من الأعراب ٠

بونابرت ٠

★★★

الرسالة الثانية

وتأتي هذه الرسالة بعد يومين فحسب من تاريخ كتابة الرسالة السابقة ، وتحمل تفصيلات أكثر عن طبيعة العلاقات بين الشريف غالب وبونابرت :

ترجمة نص الرسالة :

« القاهرة في ١٠ فريكتيدور من العام ٦ (٢٧ اغسطس ١٧٩٨)

اليه نفسه

انني أبادر بأن أعرفكم بوصولي على رأس الجيش الفرنسي للقاهرة ، وبالاجراءات التي اتخذتها للحفاظ على ما للمساجد المقدسة في مكة والمدينة من الدخول التي كان مستوجبة لها ٠

وسيبين لكم ، عن طريق الرسائل التي ستصل اليكم من الديوان ومن مختلف التجار في هذا البلد ، مدى الرعاية التي اكرسها لرعاية العلماء والأشراف وكل رجال الشريعة ٠ وسترون كذلك أني عينت كذلك مصطفى بك (١١) ، كتخدا سيد أبي بكر باشا وحاكم القاهرة ، وسيقوم بمرافقة الموكب مع قوة تكفل لها الحماية من غارات الأعراب ٠

واني لجد راغب في أنكم ، عن طريق ردكم ، تعرفوني عما اذا كنتم تودون أن تقوم فرق تابعة لي بحماية القافلة ، أو يكتفى بفيلق خيالة من أهل البلاد ، ولكن في جميع الأحوال بلغوا جميع التجار والمؤمنين بأنه لا يوجد للمسلمين من هو أكثر مني صداقة لهم ، وكذلك للأشراف وكل الذين يكرسون وقتهم وطاقاتهم لتعليم الشعب ، فليس لهم أشد غيرة على

حمايتهم ، وبأن التجارة لن تكون فحسب بمنأى عن الخطر ، بل ستكفل لها حماية خاصة · وبانتظار ردكم مع رجوع البريد ·

لتبلغني كذلك عن الضرورات التي تحتاجون اليها من قمح أو أرز وساهتم بأن ترسل كلها اليكم ·

بونابرت ،

الرسالة الثالثة

وهذه الرسالة بعث بها الشريف غالب بن مساعد شريف مكة الى نابليون بونابرت · ولا تحمل الرسالة تاريخا ، ولكن محتواها يدل على أنه من الممكن اعتبارها بمثابة رد على الرسالة السابقة ·

والنسخة التي نقدم نصا لها مطبوعة بالقاهرة ، بالمطبعة الوطنية ، اي بتلك المطبعة العربية التي حملها الفرنسيون معهم · ولعل نسخا من هذه الرسالة ، بحجمها هذا الذي طبعت به (٢١ × ٢٩ سم) أو بحجم اكبر (١٢) ، علقت في بعض المواضع الرئيسية بالقاهرة ، ليطلع عليها الأهالي ويظهر الفرنسيون ، على ضوئها ، في مظهر الحريصين على اقامة الشعائر الدينية ، ويبين أنهم على علاقات طيبة مع شريف مكة ·

وطبع في أعلى الرسالة بالحرف الغليظ :

Lettre Du Cherif De La Mekke Au General En Chef Bonaparte

(خطاب من شريف مكة الى القائد العام بونابرت)

وفي ذيل الوثيقة :

Au Kaire, De L,impremerie Nationale

(القاهرة ، بالمطبعة الوطنية) ·

نص الرسالة (١٣) :

، بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وامام المرسلين وعلى آلة وصحبه أجمعين ·

محل الخاتم ومكتوب في وسطه عبده غالب مساعد ١٢١٣ من الشريف غالب بن مساعد شريف مكة المشرفة ، الى أمير الجيوش الفرانساوية بوبابارته (!) ساري عسكر الكبير في الأقاليم المصرية ، يجري الله الخير على يديه ·

LETTRE

DU

CHERIF DE LA MEKKE,

AU

GENERAL EN CHEF BONAPARTE.

بسم الله الرحمن الرحيم والصّلوة والسّلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وامام المرسلين وعلى اله وصحبه اجمعين ۞

محل الخاتم ومكتوب فى وسطه عبده غالب مساعد ١٢٠٢

من الشريف غالب ابن مساعد شريف مكة المشرفه الى امير الجيوش الفرانساويه بوبابارته ساري عسكر الكبير فى الاقاليم المصريه يجرى الله الخير على يديه .

بعد السلام عليكم فقد وصل كتابكم وفهمنا كامل ماحواه خطابكم ومادكر عن التماسكم لمصطفي اغا كتخدا والى مصر امارة حجاج المسلمين فهو عين الصّواب وذكرتوا بانكم عازمين على ارسال حجّاج المسلمين الي بيت رب العالمين بطلبا امنيّتهم من طرفنا فلامانع لهم وعليهم امان الله من جميع المخاوف ولا صادّ لهم عن بيت الله وزيارة رسول الله ولا جعل الله الكعبه البيت الحرام الا لاداء فريضه حجّ الاسلام فيجون كعادتهم يحجون وهم امنون وما ذكرتوا عن تمشيت بن التّجار فلا يخفاكم انّ المركورين غير امنين الغوايل التي راوا ها فى الزمان السابق فاذا ردتوا ذلك ارسلوالهم ما يومن خواطرهم وبينوالهم ماناخدوه من العشور على بضاعهم واموالهم فاذا فعلتوا فهم يصلون اليكم وبخلاف ذالك لايامنون هذا ماعنى لنا به التسطير وماذكرتوا من تعرّض العربان للحجّاج المسلمين فلا يصير ذالك بحول الله وقدرته وهمتكم العاليه هذا والسلام على من اتبع الهدى ۞

AU KAIRE DE L'IMPRIMERIE NATIONALE.

بعد السلام عليكم ، فقد وصل كتابكم ، وفهمنا لحامل ماحواه خطابكم ، وما ذكر عن الباسكم لمصطفى أغاكتخدا والي مصر امارة حجاج المسلمين فهو عين الصواب ، وذكرتوا بانكم عازمين على ارسال حجاج المسلمين الى بيت رب العالمين ، يطلبا أمنيتهم من طرفنا ، فلا مانع لهم ، ولهم أمان الله من جميع المخاوف ، ولا صاد لهم عن بيت الله وزيارة رسول الله ، ولا جعل الله الكعبة البيت الحرام الا لأداء فريضة حج الاسلام فيجون كعادتهم يحجون وهم آمنون ، وما ذكرتوا عن تمشيت بن التجار ، فلا يخفاكم أن المزكورين (!) غير آمنين النوايل التي راواها (!) في الزمان السابق ، فاذا ردتوا ذلك أرسلوا لهم ما يومن خواطرهم وبينوا لهم ما تاخذوه من العشور على بنتاهم وأموالهم فاذا فعلتوا فهم يصلون اليكم ، وبخلاف ذلك لا يامنون ٠

هذا ما عنى لنا به التسطير ، وما ذكرتوا من تعرض العربان للحجاج المسلمين فلا يصير ذلك بحول الله وقدرته وهمتكم العالية ٠

والسلام على من اتبع الهدى »

★★★

الرسالة الرابعة

وترد ضمن « أعمال نابليون » ، وهي الرسالة الوحيدة التي توجه باسم « سلطان مكة » لا الى « شريف مكة » ، ولسنا نملك النص العربي منها حتى يمكن ، على ضوئه ، الجزم بدلالة هذ التغيير ، والأبعاد السياسية التي تنطوي وراء مثل هذا التعبير ٠

ترجمة نص الرسالة :

« القاهرة ، في ٦ بلو فواز من العام ٧ (٢٥ يناير ١٧٩٩)

الى سلطان مكة

لقد تسلمت الرسالة التي كتبتموها الي ، وفهمت محتواها ، وأرسل لكم اللائحة التي قمت بوضعها لجمرك السويس ، وفي عزمي أن يتم تنفيذها بدقة ٠

ولا يخالجني الشك في أن تجار الحجاز سيلحظون بامتنان مدى التناقص الذي طرأ على الرسوم الجمركية ، وذلك من أجل الصالح العام للتجارة ، وتستطيع أن تطمئنهم بأنهم سيحظون هنا بموفور الحماية ٠

وفي جميع الحالات التي تحتاج فيها لشيء من مصر ، ما عليك الا أن تعرفني ، وسيكون مدعاة لسروري أن أعبر لكم عن دلائل تقديري ٠

بونابرت »

* * *

الرسالة الخامسة

وهي احدى الرسائل القليلة التي وصل الينا نصها بالعربي ، ولم ترسل الى نابليون بانابرت ، بل الى بوسليج Poussielgue أحد كبار رجال الاقتصاد الذين صاحبوا الحملة ، حيث أصبح « مراقبا لنفقات الجيش ، وعهد اليه نابليون بادارة الشئون المالية ، وكان يثني عليه ، لكنه غضب عليه بعد عودته الى فرنسا لما اطلع على رسائله الى حكومة الديركتوار انتقد فيها سياسته ، ولما عاد الى فرنسا أهمله نابليون » (١٤) ٠

ويرد اسمه في هذا النص على أنه « بوسيلك ، مدبر الحدود العامة بمصر » ، والنص نفسه يورده الجبرتي في عجائب الآثار ، ضمن أخبار سنة ١٢١٣ ، مسبوقا بقوله :

« وفيه حضر الى السويس تسعة داوات بها بن وبهار وبضائع تجارية ، وفيها لشريف مكة نحو خمسمائة فرق بن ، وكانت الانجليز منعتهم الحضور ، فكاتبهم الشريف فأطلقوهم بعد أن حددوا عليهم أياما مسافة التنقيل والشحنة ، وأخذوا منحهم عشوراء ، وسامح الفرنسيس ابن الشريف من العشور لأنه أرسل لهم مكاتبة بسبب ذلك وهدية قبل وصول المراكب الى السويس بنحو عشرين يوما ، طبعوا صورتها في أوراق والصقوها بالأسواق ، وهي خطاب لبوسليك ، وصورته ٠ » من الشريف غالب بن مساعد ، شريف مكة المشرفة الى عين أعيانه ٠٠ » الخ ٠

والنص الذي ألصق بالأسواق طبع على ورق كبير الحجم (٤٠ × ٢٩ سم) ، وكله بالعربية ، باستثناء الشعار الذي في أعلا المنشور ، والذي يتضمن بالفرنسية : « الجمهورية الفرنسية » ٠

ويتضمن المنشور بعض عبارات دعائية ، توضح كيف أراد الفرنسيون أن يستغلوا صلاتهم بالشريف غالب ـ التي كانت في جوهرها صلات تجارية ـ لاجتذاب الرأي العام اليهم ، وهذه العبارات نصها :

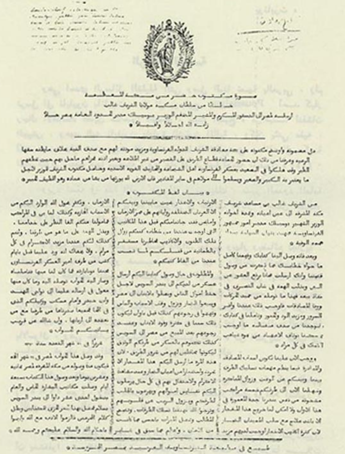

« صورة مكتوب حضر من مكة المعظمة خطابا من سلطان مكة مولانا الشريف غالب ، أرسله لمصر الى الدستور المكرم والمشير المتحضم (كذا) الوزير بوسيلك مدبر الحدود العامة بمصر حالا زاده الله جلالا واقبالا

دل مضمونه ، وأوضح مكنونه على صحة مصادقة الشريف للدولة الفرنساوية ، ومزيد مودته لهم مع صدق النية ، بخلاف ما يظنه سفها الرعية ، وعرفنا من ذلك أن حضور الجماعة قطاع الطريق على القصير من غير اطلاعه ، وبغير اذنه ، فجزاهم ما حل بهم حيث تخطفهم الطير ، وقد هلكوا في الصعيد ، بعسكر الفرنساوية ، أهل الشجاعة والمحاربت (!) القوية ، الأسدية ، وحاصل مكتوب الشريف للوزير لأجل ما يعتبر به الكبير والصغير ، ويسلموا الى مولاهم في سائر المقادير ، فان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، وهو اللطيف الخبير » ٠

نص الرسالة :

« بيان لفظ المكتوب

من الشريف غالب بن مساعد شريف مكة المشرفة الى عين أعيانه وعمدة اخوانه الوزير الشهير (١٥) بوسيلك (١٦) ، مدبر أمور جمهور الفرنساوية ، ممهد بنيان السياسة بسداد همه (١٧) الوفية ، وبعد

فانه وصل الينا كتابك ، وفهمنا كامل ماحواه خطابك ، مما ذكرت من وصول قنجتنا ، وانك ارسلت مجانا برفع العشور عن البن ، وبذلت الهمة في شان التصرف في نفاذ بيعه ، فهذا ما نؤمله من حميد الحركات ، ووفاء المصادقات ، فأوجب ذلك عندنا وافر السرور ، ومزيد الود والحبور (١٨) ، وتأملنا في كتابك ، فوجدنا من صدق مقاله ما أوجب تمسكنا بوثاق الاعتماد على تموه غياهب الشك في كل مراد (١٩) ٠

وواجب الأن علينا تكوين أسباب المصادقة والمبادرة فيما ينظم مهمات تسليك الطرق بيننا وبينكم عن الوعث وزوال المناكرة ، وشهلنا الأن الى طرفكم خمسة مراكب مشحونة من نفس بندرنا جدة المعمورة في هذا الأوان ، ولا أمكن لنا خروج هذا المقدار الا بأشد علاج (٢٠) ، مع سلب اطميتان التجار لأن كثرة أكاذيب الأخبار أوجبت لديهم (٢١) مزيد الارتياب والأعذار بحيث ما بيننا وبينكم الا العربان المختلفة رواياتهم على ممر الأزمان ، وأما نحن فقد جاتنا منكم قبل هذا المكاتب التي أوجبت عندنا من خطاب كتبكم زوال تلك الظنون والأكاذيب فخاطرنا مستقر بالطمأنينة من قبلكم لما ثبت عندنا من الفاظ كتبكم ٠

والمطلوب في حال وصول كتابنا اليكم ارسال عسكر من لديكم الى بندر السويس لأجل حفظ أموال الناس ويصلوا بالأبنان الى مصر ، ويبيعوا (٢٢) التجار ويزول وقف الأسباب والباس وتهتموا في رجوعهم كذلك قبل باوان ليكون ذلك سببا في كثرة وفود الأبنان ، وعند رجوعهم بعد المبيع من مصر الى السويس كذلك تصحبوهم بالعسكر من طرفكم الوثيق ليكونوا محافظين لهم من شرور الطريق ، لأن هذه المرة ما أرسل اليكم هذا المقدار الا تجربة واستخبار من أعيان التجار ، وعند مشاهدة الاكرام والاحتفال بهم في كل حال يرسلون اليكم نافيس أموالهم ويهرعون بالجلب لطرفكم ، ويزول الريب عن قلوبهم ·

ونرجو (!) الله بهمتنا تسلك الطرقات ، وتنجح المطالب وتحصل المبرات (٢٣) بأحسن مما كانت من الأمان ، وأعظم مما سبق في غابر الأزمان ، ويكثر بحول الله الوارد اليكم من الأسباب الحجازية ، وكذلك لنا بن في المراكب ، فما مولنا منكم القا النظر على خدامنا ، وبذل الهمة على ما هو طرفنا ، وأنتم كذلك لكم عندنا مزيد الاكرام في كل مرام

ولا يخفاك أنه ورد علينا قبل بأيام كتب من طرف أمير العسكر الفرنساوي محبنا بونابارته فما كان لنا منها فتأملناه ، وصار اليه الجواب توصله اليه ، وما كان منها معول (٢٤) في ارساله علينا الى نواحي الهند وابن حيدر (٢٥) وامام مسكت (٢٦) ووكيلكم الذي في المخا (٢٧) فجميعا صدرناها (٢٨) من طرفنا مع من نعتمده الى أربابها ·

وان شاء الله عن قريب يأتيكم الجواب (٢٩) ·

تحريرا في ١٨ شهر ذي القعدة سنة ١٢١٣ »

ويتلوه ، في نفس المنشور :

« وقد وصل هذ الجواب لمصر (٣٠) في ١٤ شهر الحجة (!) فيكون مدة وصوله من مكة المشرفة لمصر ثمانية وعشرين يوما ، وبعد وصول هذا الكتاب بسبعة أيام وصلت مكاتيب البشارة الخاص والعام بدخول احدى عشر داوا الى بندر السويس بسلام ، فحصل بهذا الخبر الخزي للكذابين وبطل كلام المجرمين فالزموا الأدب مع الله وارضوا بأحكام الله والسلام عليكم ورحمة الله ·

طبع في مطبعة الفرنساوية العربية بمصر المحروسة »

الرسالة السادسة

وهذه الرسالة ورد نصها في مخطوطة كتاب « افادة الأنام » – ولم نعثر بعد عليه – ونقلناها عن كتاب الأستاذ أحمد السباعي « تاريخ مكة » الذي قدم لها بقوله :

« نابليون لونابرت (!) يكتب لغالب :

وعلى أثر استقرار الفرنسيين في مصر كتب قائدهم الأعلى نابليون لونابرت (!) يعرض على الشريف غالب في مكة بعض الاتفاقات التجارية ، وينذره اذا حاول قطعها ، فكتب اليه الشريف غالب الخطاب التالي » :

وبعد أن أورد نص الرسالة أضاف « ملاحظة » هي :

« كان عنوان غلاف الكتاب :

(عين أعيانه وعمدة أخدانه بونابرته ، أمير الجمهور الفرنساوي بمصر القاهرة حالا ٨٦٤٢ (؟)) وكان الختم مكتوبا في وسطه :

(عبده غالب بن مساعد سنة ١٢١٣)

وكتب في أعلا الخطاب (اسنادي الى الله

وفي أسفله (اعتمادي على الله)

وفي احدى الجانبين (مرادي رضا الله)

وفي الجانب الآخر (اعتقادي في الله)

نص الرسالة :

« من الشريف غالب بن مساعد شريف مكة المشرفة ، الى قدوة أعيان (أقرانه) الدولة الفرنساوية أو عمدة أركان اخوانه المشهور بسداد همته الوافية بونابارته ، سرعسكر ومقدم كبرائهم في كل مصدر ، وبعد

فداعي التحرير وموجب التسطير وصول كتابك واحاطة علمنا لما حواه خطابك وماذكرت من وصول كتبنا وتصفح مضمونها ، وارسال القول من طرفكم بما يوجب تبيان حدود رسومات أموال التجار في البلاد المصرية ، وجريان سماحنا لخمسمائة فرق الى آخر ماشرحتموه من الكتاب لصريح وثاقه صدق الاعتماد في كل مصدر من جهاتنا الحرمية ، ومطلوب منا ايصال

الكتب المرسلة على يدنا لمحلنا ، أحدها لولد حيدر تيبو سلطان ، والثاني لامام مسكت والثالث لوكيلهم بالمخا فقد وصلت الينا وأرسلناها بيد معتمد من طرفنا لأصحابها طبق المرام ، وان شاء الله عن قريب يجيئكم الجواب ، وما كان من همتنا في جلب التجار الى الديار المصرية ، واعتمدنا لخطكم وأكيد قولكم ، فنرجو الله ما نعتمد خلافه ، وقد كان تجار بندرنا المعمور في روع من الأكاذيب المختلقة على أموالهم وصدورها لطرفكم وحين ورد منكم هذا القول الأكيد كافة تجارنا في أسباب الجلب اليكم ، وتعهد لهم كامل ما توهمت به ضمائرهم من ضمان الأمان على أموالهم ، وانما كان الانتظار منا لوفود من جهتنا ورسولنا المصدر اليكم .

فلما كان اليوم السابع من شهرنا هذا وصل المذكور الينا وبه كتاب وكيلك المعتمد الوزير برسيلك (كذا) المعلن بمزيد الالتفات لوفادنا اليه وهمته في أمور مرسلاتنا من البن وغيره وهي خمسة مراكب مشحونة من طرف تجارنا وفيها مأمور هو مسطور أعلاها باسمنا فهو لنا وصحبتهم منحتنا ومراسلينا بالسطور ، فالمطلوب عند وصولهم الى السويس أن ترسلوا من طرفكم عسكر يحافظون على الأبنان الى أن تصلكم الى مصر ، ويبيعونها ، فعند اعادتها بأثمانها كذلك تشيعوهم بالعساكر الى أن يدخلوا سفائنهم ، حرصا عليهم من خطر الطريق ، فاننا ما أمكن تأمين التجار على هذا المقدار الا بأشد علاج وما صدر هذا القدر الا بصدد التجربة من شدة ما تأكد عليهم لديهم من توهم الأكاذيب المتناثرة ، لأنه ما بيننا وبينكم الا العربان ، فاذا شاهد التجار مزيد الاعتناء بأموالهم ، ومحافظاتها من مخاطرات الأسفار والاحتفال باكرامهم هرعوا بالجلب الى مصر في كل آن ، ونرجو بهمتنا أن نسلك الطرقات وتنجح المبرات بأحسن ما كان من الأمان ، ويكثر الوارد اليكم من الأسباب الحجازية ، لا سيما عند وجدان صدق مقالكم تتكون أسباب صداقتكم فالآن مأمولنا منكم القاء النظر على ما هو لنا من البن حسب ما هو مرقوم اسمنا في ظهور (فروقنا) والالتفات لخدامنا ، وكذلك لا يخفاكم أن لنا عوائد ومرتبات في مصر ، مع سماح الخمسمائة الفرق دراهم نقدية ، وهنا بيان ما هو لنا بالديوان العالي في مصر ، الواصلة الينا صحبة الحاج مع كاتب الصرة وصيرفها :

عن الصرة الرومية	٥٤٠٠٠٠
ثمن مرس وشطرات	١٧٠٩١٧
معتاد بني حسين وبني تراب	٤٨٧١٧
عن أشراف بني تراب بدفتر متقاعد	١٩٥١٢

عن مرتب وقف الدشيشة الكبرى	١٢٥٣٢٥
عن وقف المحمدية بالثلث بدفتر متقاعد	٨٣٣٣٣
حوالة كاتب الحرم بمكة من أربطة	١٧٥٨١١
عن صرة شريف مكة انعام الدولة العلية	١٠٠٠٠٠٠
منها دواوين	٢١٦٣٦٧٩
ولنا في وقف الجامكية المستجدة يسلمها لنا أمين الحاج دواوين	٥٠٨٥٠٠

عنها ريال فرانسة ٥٦٥٠

حرر في ١٨ شهر ذي القعدة ١٢١٣ » ·

الرسالة السابعة

وترد ضمن « أعمال نابليون بونابرت » وكتبت في ٣٠ من يونية ١٧٩٩ أي قبيل رحيل نابليون بأقل من شهرين (اذ أنه ارتحل في ٢٢ من اغسطس الى فرنسا ، متخفيا) ·

ترجمة نص الرسالة :

« القاهرة في ١٢ مسيدور من العام ٧ (٣٠ يونيه ١٧٩٩)

الى شريف مكة

بسم الله الرحمن الرحيم ، لا اله الا الله ، محمد رسول الله لقد تسلمت رسالتكم ، وفهمت محتواها ، وقد أصدرت أوامري بحيث يعمل كل ما من شانه أن يقنعكم بمدى الود والتقدير الذي أحمله لكم

ونأمل أنكم في الموسم القادم تقومون بارسال عدد كبير من السفن المحملة بالبن وبضائع الهند ، وسيكفل تأمين هذه السفن ·

واني لأعرب لكم عن شكري لقيامكم بارسال ما بعثت من رسائل للهند والى فرنسا · أوصلوا هذه الرسالة كذلك ، ووافونا بالرد ·

وثقوا في التقدير الذي اكنه لكم ، وفي الاعتبار الذي أحمله لصداقتكم

بونابرت »

ويرد بعدها في نفس المصدر نص يتصل بالشريف غالب هو :

« القاهرة في ١٢ميسيدور من العام ٧ (٣٠ يونية ١٧٩٩)

الى قومندان « ايل دى فرانس (٣١)

أرجو أيها المواطن القومندان ، أن تقوموا بدفع مبلغ ٩٤٠٠٠ فرنك الى شريف مكة ، وهو المبلغ الذي سيقوم أمين الصرف بالجيش بسحبه ، بموجب ثلاث رسائل تحويل على أمين الصرف في ايل دى فرانس ، كما ستقوم الخزانة الوطنية باتخاذ اللازم .

« وقد اعتقدت أنه من الواجب أن أستعمل هذه الطريقة لكي يكون لنا قناة موثوق بها لكي نتراسل معكم على الرغم من الطرادات [الانجليزية] التي تعيث في البحر الأحمر فسادا .

ولكم تحياتي « بونابرت »

الرسالة الثامنة

ويرد نصها الفرنسي في كتاب فرانسوا روسو الذي يحمل عنوان « كليبر ومنو » ويضم الوثائق التي تتعلق بالحملة في ظل خليفتي بونابرت في مصر .

وتتميز هذه الرسالة بمدى غلبة روح الملق عليها ، والرغبة الشديدة في التأثير على الشريف غالب ، لأن الجنرال منو ، كاتب هذه الرسالة كان ينتهج سياسة استعمارية ترمي الى محاولة البقاء في مصر ، على العكس من نهج سلفه كليبر ، الذي أدرك أن من الخير تصفية الحملة والرحيل وفقا لشروط مشرفة .

ترجمة نص الرسالة :

« من منو الى شريف مكة

(نقلا من مينيتور يونيفرس ، بتاريخ ١٥ نيفوز من العام ٩) ٩ فريمير من العام ٩ (٣٠ نوفمبر ١٨٠٠) .

بسم الله الرحمن الرحيم ، لا اله الا الله ، محمد رسول الله

من عبد الله جاك منو ، القائد العام للجيش الفرنسي [الموجود] حاليا في مصر ، ممثلا فيها حكومة الجمهورية الفرنسية ؛

الى الشهير ذائع الصيت ، الأعظم بين الأعاظم ، خليفة رسول الله ، المفعم بالعقل والحكمة والقوة ، المنتصر على الدوام ، الأمير غالب ،

الشريف العظيم على المدينتين المقدستين ، المهيمن على أجمل منطقة في شبه الجزيرة العربية .

أيها الأمير الشهير ، الصديق

بعد أن استعلمت عن صحتكم ، وتمنيت لكم كل السعادة التي تستحقونها ، والتي تصبون لها ، أبادر بأن أعلمكم بأني عينت قائدا عاما على الجيش الفرنسي [المقيم] الآن في مصر ، بعد الاغتيال الرهيب الذي أودى بشخص سلفي صديقكم القائد العام كليبر

ان صديقكم القديم بونابرت ، القنصل الأول للجمهورية الفرنسية وأشهر محاربي أوربا ، هو الذي عينني في مكانه ، واني لأهنىء نفسي اذ أتاح لي امكانية التراسل مع من هو الأكثر قداسة من بين جميع الأمراء الذين يتبعون العقيدة الحقة ، والذين يعبدون الله ويوقرون نبيه .

أيها الأمير الشهير

لقد كلفني بونابرت بأن أجدد معكم كل مواثيق الصداقة ، ومن ثم ابادر بأن اعرفكم بأن رعاياكم يستطيعون الحضور للسويس دون اي خوف ، ومن الآن فصاعدا لن يلحق بالتجار اهانة أو تنكيد ، وقد الغيت كل القوانين القديمة لكيما لا أبقى الا على قانون واحد مطلق ، ولو أن فردا فرنسيا أو اي موظف آخر في جمرك تجرأ أن يأخذ مثقال ذرة واحدة (٣٢) أكثر مما حددت ، فانه سيدفع حياته اذ ذاك ثمنا لها ، وقد فعلت ذلك مراعاة لكم ، أيها الأمير الشهير .

ولقد كنت أريد أن أرسل لكم هذه السنة ، كما كان ذلك في السابق ، قافلة الحجيج ، التي تضم من كل الأمم لأجل زيارة المدينتين المقدستين ، وكنت أريد أن أرسل لكم الكسوة لتغطية الكعبة المقدسة ، لكن ظروف الحرب لم تمكن من ذلك ، وارجو في العام المقبل أن اكون أحسن حظا ، وسانصب كامير للحج مسلما يكون حريا بمهمة على هذا القدر من التشريف ، وساقوم ، في النهاية ، بكل ما من شانه ان يبرهن لكم ، ايها الأمير الشهير على مقدار رغبة الجمهورية الفرنسية في أن تكون على وفاق معكم ، وانني لأعتبر نفسي سعيدا اذ اكون لسان حالها ، حيث انها كلفتنى بان اقدم لكم التوكيدات الوطيدة لتقديرها العميق .

وارجو الله ورسوله ان ينعم عليكم بعمر مديد ، وبرخاء غير مقطوع ، وانتصارات بلا عدد على أعدائكم .

ملحوظة : أرسل لكم أيها الأمير الشهير التعريفة الجمركية التي نفذتها في كل أنحاء مصر ، وسترون أن الرسوم الجمركية أصبحت أقل قدرا في السويس مما كانت عليه في الماضي » .

النصوص ذات الأصل الفرنسي ، وهي على الترتيب ، الرسائل رقم ١ ، ٢ ، ٤ ، ٧ ، ٨ .

الهوامش والمصادر

١ – نشير هنا إلى المراجع الرئيسية عن الحملة الفرنسية ، بالعربية والفرنسية والانجليزية ، وهي :

عبد الرحمن الجبرتي « عجائب الآثار في التراجم والأخبار » ٤ اجزاء ، القاهرة ١٣٩٧هـ .

عبد الرحمن الجبرتي « مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس » جزءان ، تحقيق احمد زكي عطية واخرين ، القاهرة ١٩٦١ .

نقولا الترك « ذكر تملك جمهور الفرنساوية الأقطار المصرية والبلاد الشامية (نشر وترجمة د. ديجرانج) باريس ١٨٣٩ .

عبد الرحمن الرافعي « تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر » ، جزءان ، الاول ط ٤ ، القاهرة ١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م ، الثاني ط ٣ ، ١٣٧٨هـ ، ١٩٥٨م .

د. محمد فؤاد شكري « الحملة الفرنسية وظهور محمد علي » القاهرة ، بدون تاريخ .

د. محمد فؤاد شكري « عبد الله جاك منو وخروج الفرنسيين من مصر ، القاهرة ١٩٥٢ .

محمود الشرقاوي « مصر في القرن الثامن عشر » ٣ اجزاء ، القاهرة ١٩٥٧ .

Reybaud, L. : " L' Histoire Scientifique et Militaire de L' Expedition Francaise en Egypte, " 10 vol Paris, 1830 - 36

Rigault, G. " Le General Abduallah Menou et La derniere phase de L' Expedition d' Egypte " (1799 - 1801) Paris 1911.

Bainville, " Bonaparte en Egypte ", Paris 1936.

Bainville, " L' Expedition Francaise en Egypte ", dans "Precis de L' Histoire d' Egypte, t. III, Le Caire, 1933.

Charles - Roux, F. " Bonaparte gouverneur d, Egypte " Paris 1936.

Elgood, P. G., " Bonapart's adventures in Egypt ", London 1936.

٢ ـ نكتفي بان نسوق هنا ما ذكره العلامة الزركلي في « الأعلام » ط ٣ جـ ٥ ص ٣٠٤ عن الشريف غالب (توفي سنة ١٢٣١هـ ـ ١٨١٦م) :

« غالب بن مساعد بن سعيد الحسني ، من امراء مكة . وليها بعد وفاة اخيه سرور ، (سنة ١٢٠٢هـ) ونازعه ابن اخيه (عبد الله بن سرور) فقبض عليه غالب واستتب له الأمر زمنا . وفي ايامه قوي الامام سعود بن عبد العزيز بنجد ، وهاجمت جيوشه الحجاز فقاتلها الشريف غالب ، وتقهقر الى جدة ، ثم اظهر الطاعة لسعود ، حتى كان كاحد عماله ، وعاد الى مكة . واستمر في الامارة الى ان زحف محمد علي باشا (والي مصر) بجيش كبير من الترك وغيرهم لقتال السعوديين ، فتحول الشريف عن ولائه لآل سعود ، فاستخدمه محمد علي مدة قصيرة ، ثم قبض عليه وارسله الى مصر (سنة ١٢٢٨) فاقام اشهرا ، وارسل الى الاستانة فنفته حكومتها الى سلانيك فتوفي فيها . وكان فيه دهاء ، واخباره مع ال سعود كثيرة ، اشار اليها مؤرخو عصره » وذكر عنه مراجع متنوعة اهمها « عنوان المجد » لابن بشر ، وتاريخ الجبرتي .

٣ ـ « عجائب الآثار » جـ ٤ ص ٢٦٢ .

وانظر نفس المصدر ، ١٥٨/٢ ، ١٧٢ ، ٥٩/٣ ، ٢٣٥ ، ٢٤٦ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٦٤ ، ٢٩٠ ، ٣٠٢ ، ٥/٤ ، ٦ ، ١٣٥ ، ١٧٣ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٧ ، ٢١٢ ، ٢٢٩ .

وانظر بحثا لأحمد مرسي « شريف مكة بين قوتين » في مجلة « الدارة » ، العدد الثاني من السنة الأولى (جمادى الثانية ١٣٩٥ ، يونيه ١٩٧٥) ص ١٥٠ ـ ١٥٩ ، والعدد الأول من السنة الثانية (ربيع اول ١٣٩٦) ص ١٦٨ ـ ١٧٤ .

٤ ـ انظر في تفصيلات موضوع « سياسة نابليون الاسلامية » :

Cherfils, Christian : " Bonaparte et L'Islam d'apres Les documents francais et arabes " Paris 1914.

Chauvin. victor. " La Legende Egyptienne de Bonaparte Paris, 1936.

Spillman, G., "Napoleon et L' Islam" Paris 1969.

٥ ـ لهذا المنشور اصلان احدهما عربي والآخر فرنسي ، وقد اورد الجبرتي ٣/٤ ـ ٥ الأصل العربي ، ونقله عنه عبد الرحمن الرافعي في « تاريخ الحركة القومية » جـ١ ص ٨٤ ، ويرد الأصل الفرنسي في « مراسلات نابليون » جـ٤ وثيقة ٢٧٢٣

Correspondance de Napoleon ler, Paris 1858 - 1870.

على ان للمنشور العربي صيغتين بينهما بعض اختلافات . انظر بصدد ذلك دراسة د. احمد حسين الصاوي « فجر الصحافة في مصر » ـ دراسة في اعلام الحملة الفرنسية ـ القاهرة ١٩٧٥ ص ٩٢ ، واحال الى دراسة مفصلة حول الموضوع للدكتور مارسدن جونز قدمت ضمن الندوة التي عقدتها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية عن الجبرتي بالقاهرة (١٦ ـ ٢٣ ابريل ١٩٧٤) .

٦ ـ انظر تفصيلاته في الرافعي ، المصدر السابق جـ١ ص ٢٣٣ .

٧ ـ اكتشف هذه الوثيقة المؤرخ علي بهجت ونشرها في مجلة المجمع العلمي بالقاهرة ، مجموعة ١٨٩٨ وعدد فبراير ١٩٠٠ ، واورد الرافعي كذلك في المصدر السابق (جـ٢ ص ٣٦٢ ـ ٣٦٦) النص كاملا .

٨ ـ انظر في تفصيلات المجابهة بين الشعب والفرنسيين تاريخ الجبرتي في أكثر من موضع وكذلك كتاب الرافعي الذي أشرنا اليه ، ولنا دراسة حول « سليمان الحلبي واغتيال كليبر » قدمت للمجلس الأعلى للفنون والآداب بالقاهرة ، سنة ١٩٦١م ٠

ونضيف هنا أن اهالي الحجاز ، وعلى الرغم من سياسة الوفاق بين الفرنسيين والشريف غالب ، اشتركوا مع أهل مصر في حرب الفرنسيين على النحو الذي اوضحه الجبرتي جـ ٣ ص ٤٤ ٠

٩ ـ أحمد السباعي « تاريخ مكة » ـ دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران ـ ط٠ ثانية ، مطابع دار قريش بمكة سنة ١٣٨٥هـ ، جـ٢ ص ١٢٦ ومابعدها ٠ وقد فتشنا طويلا عن مخطوطة « افادة الأنام » فلم نستدل عليها حتى الآن (وذكر لنا بعض أهل العلم في مكة المكرمة أنها ربما كانت مما اقتناه الشيخ محمد سرور الصبان ٠ وقد اهديت مكتبته مؤخرا لفرع جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة ، ولاتزال في طور المراجعة والفهرسة) ٠

١٠ ـ انظر بحث د٠ أحمد عبد الرازق محمد « كشاف بالوثائق الفرنسية في مكتبة جامعة القاهرة » ضمن كتاب « عبد الرحمن الجبرتي ، دراسات وبحوث » ، باشراف د٠ أحمد عزت عبد الكريم ٠ القاهرة سنة ١٩٧٦م ، « حافظة رقم ٢٠٦ :

٦ ـ ترجمة فرنسية لخطابين من شريف مكة الى الجنرال بوسيلج ، مؤرخة في ٤ فلورال من السنة السابعة (٢٣ ابريل سنة ١٧٩٩) يسأله في ارسال بوسيلج بشأن البعثة المسافرة الى سيناء ، مؤرخة في سنة ١٧٩٩ » ٠

١١ ـ انظر في أمر تعيين أمير الحج كتاب الرافعي سالف الذكر جـ١ ص ٢٦١ ، و جـ٢ ص ٤٨ ٠

١٢ ـ أشار ألبير جس في دراسته عن « تاريخ المطبعة في مصر » الى أن المنشورات كانت تطبع طبعتين ، واحدة لكي تلصق في الأماكن العامة والثانية التي توزع في الشوارع :

Albert Geisse, " Histoire de L' Impremerie en Egypte " dans, " Bull. de L' Institut Egyptien, 5 eme serie, t. I, 1907.

١٣ ـ راعينا أن نسجل نص الرسائل التي بالعربية كما جاءت في الوثائق التي بين أيدينا ، وقد تدخلنا في بعض المواضع باضافة علامات تعجب بين الأقواس للفت النظر الى طبيعة الأسلوب الذي استعمل أو للخطا المطبعي الذي وقع ٠

١٤ ـ عن كتاب عبد الرحمن الرافعي الذي ذكرناه من قبل ، جـ١ ص ١٣١ ، وان كان فيه أن بوسيلج كان يشغل منصب « مدير الحدود » بالياء والصواب ، كما جاء في الجبرتي وفي نص المنشور أنه بالباء ، وأورد د٠ الصاوي ـ في دراسته التي ذكرناها من قبل ـ صورة القرار الذي اتخذ بتنحية بوسيلج (شكل رقم ٧٧) بطريقة غير مباشرة اذ نص القرار على أنه « لم يبقى مدير الحدود كمثل الأول » وعلى أن « الخزندار العام هو سيتوين استوه متعلق بالمداخيل قاطبة ، والمذكور يضبط ويكشف حسابات المدخول من اللم العمومي » أي أن مسئولية ادارة الشئون المالية آلت الى المواطن استيف Esteve (انظر عنه كتاب الرافعي الذي اوردناه ، جـ١ ص ١٣١) ، والعنوان الفرنسي للمنشور يبين في جلاء أن بوسيلج كان على رأس الادارة العامة للمالية في مصر

L' Administration general des Finances de L' Egypte.

١٥ ـ عبارة (الوزير الشهير) لا ترد عند الجبرتي .

١٦ ـ في الجبرتي : بوسليك .

١٧ ـ في الجبرتي : همته

١٨ ـ الجملة من « فهذا ما نؤمله .. » حتى « .. الود والعبور » لا ترد في تاريخ الجبرتي .

١٩ ـ في الجبرتي : المراد

٢٠ ـ في الجبرتي : الا بمشقة علاج .

٢١ ـ في الجبرتي : لهم .

٢٢ ـ في الجبرتي : ويبيع .

٢٣ ـ في الجبرتي : تسليك الطرقات ، وتنجيح المطالب وتحصيل المرات .

٢٤ ـ في الجبرتي : معولا .

٢٥ ـ انظر عنه دراسة د. الصاوي التي ذكرناها ، ص ٢٠٧ ، وفيها انه « تيبو صاحب ، ابن حيدر علي ، سلطان ميسور بالهند ، وكان ممن قاوموا امتداد الاستعمار البريطاني في شبه القارة الهندية ـ ١٧٥٣ ـ ١٧٩٩ » .

٢٦ ـ المراد : مسقط .

٢٧ ـ المراد : القنصل الفرنسي في المخا .

٢٨ ـ في الجبرتي : أصدرناها .

٢٩ ـ في الجبرتي : يضيف : والسلام .

٣٠ ـ في الجبرتي : « وقد وصل هذا الكتاب لمصر ، في ستة عشر يوما خلت من شهر ذي الحجة ، فيكون مدة وصوله من مكة المشرفة الى مصر ثمانية وعشرين يوما ، وانقضى هذا الشهر ، ولم يات خبر صحيح عن فرنسيس الشام . وانقضت هذه السنة ، وما حصل بها من الحوادث التي لم يتفق مثلها ، ومن أعظمها انقطاع سفر الحج من مصر ، ولم يرسلوا الكسوة ولا الصرة ، وهذا لم يقع نظيره في هذه القرون ، ولا في دولة بني عثمان ، والأمر لله وحده » .

وانظر في تحليل المنشور دراسة د. الصاوي التي مرت بنا ص ١٠٠ حيث يقول ان « ان المنشور غير مؤرخ ، ولكن ختامه يدل على انه صدر في اواخر شهر ذي الحجة سنة * ١٢١٣ (النصف الثاني من مايو ١٧٩٩) ، وقد ذكر الجبرتي نصه في حوادث شهر ذي الحجة ايضا « دون تحديد اليوم » وواضح ان المنشور يحمل تاريخا هو ١٨ من شهر ذي القعدة سنة ١٢١٣ كما علق عليه باسهاب ص ٢٠٦ .

* رسائل نابليون الى الشريف غالب نقلناها عن :

Oeuvres de Napoleon Bonaparte,
tome deuxieme, Paris, C. L. F. Panckoucke editeur,
MDCCCXXI (1821).

ص ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٤٥٧ ، ٩٠ (على التوالي) .

أما الرسالة الموجهة من مينو للشريف غالب فتجيء في كتاب :

François ROUSSEAU, " Kléber et Menou en Egypte depuis Le depart de Bonaparte
(Paris 1900).

ص ٣٧٨ وما بعدها ٠

٣١ ـ ايل دي فرانس Ile de France ، احدى جزر المحيط الهندي ، وكانت خاضعة لفرنسا ، وهي ما يعرف الآن باسم جزيرة موريشيوس ٠

٣٢ ـ في النص الفرنسي : Medin وفي « تاريخ الطباعة والصحافة في مصر خلال الحملة الفرنسية » ط٢ ، القاهرة ١٩٤٩م ص ٥٠ :
” Medin او Medino هي اصغر عملة مصرية في حجم العملة الفرنسية ذات الخمسة وعشرين سنتيما ولكنها اقل منها سمكا ، وطول نصف قطرها خمسة عشر ملليمترا ، وتزن ٧٣ درخمة او ٢٢ر٧٦ جراما من الفضة ، يحمل احد جانبيها اسمها فقط او اسم السلطان ، ويحمل الجانب الآخر « ضرب في مصر » والسنة التي ضربت فيها ٠ راجع في ذلك :
Descrip. de L' Egyp. 2 eme ed. T. 16 P. 320 et 422.

وعملة « ميدان او مدينو تسمى ميدي او مؤيدي ، ويذكرها الجبرتي بقوله (نصف فضة) راجع في ذلك شفيق غبريال « مصر عند مفترق الطرق » هامش ص ١٢ مجلة كلية الآداب مجلد ٤ جـ ١ سنة ١٩٣٦ » ٠

٣٣ ـ Aboukekir هو ابو بكر باشا والي مصر (وانظر في عبد الرحمن الرافعي : تاريخ الحركة الوطنية جـ١ ص ٤٢٣ ، رسالة نابليون الى ابي بكر باشا والي مصر قبل رسو العمارة الفرنسية بالاسكندرية ») وليست هذه هي المرة الأولى التي تجيء فيها الأسماء العربية على صورة مغلوطة او مخالفة لأسلوب الرسم الكتابي المتداول لها الآن ٠ وقد رأيناهم في هذه الرسائل يكتبون Hygia 3 دلالة على الحجاز ، وجاء اسم الشريف غالب في الرسالة التي وجهها اليه الجنرال منو وقد رسم هكذا Ghralib كما كتبت مكة المكرمة في بعض الأحايين Mekke بدلا من Mecque ٠ وانظر كذلك الرسالة الثانية ، حيث تجد فيها بعض كلمات فرنسية (مثل
(differens negocians)
كتبت على نحو مخالف للمألوف ٠ وقد ابقينا عليها كما هي دون تغيير ، وهو ما فعلناه كذلك بإزاء النصوص العربية التي حافظنا على أسلوبها بدون اي تغيير ٠

د٠ محمد زكريا عناني
كلية الشريعة ـ مكة المكرمة

Lettre 1 : Au Caire, Le 8 Fructidor an 6 (25 août 1798)

Au Schérif de le Mecque

En vous faisant connaitre l' entrée de l' armée française en Egypte, je crois devoir vous assurer de la ferme intention où je suis de protéger de tous mes moyens le voyage des pélerins de Mecque : les mosquées et toutes les fondations que la Mecque et Médine possédent en Egypte, continueront à leur appartenir comme par le passé. Nous sommes amis des musulmans et de la religion du prophète; nous désirons faire tout ce qui pourra vous plaire et être favorable a la religion.

Je desire que vous fassiez connaitre partout que la caravane des pélerins me souffrira aucune interruption, qu' elle n'aura rien à craindre des Arabes.

Bonaparte "

Lettre "2" :

Au Caire, le 10 Fructidor an 6 (27 août 1798)

Au même

Je m' empresse de vous faire connaitre mon arrivée, à la tête de l' armée française, au Caire, ainsi que les mesures que j'ai prise pour conserver aux saintes mosquées de la Mecque et de Médine les revenus qui leur étaient affectés. Par les lettres que vous écriront le divan et les differens negocians de ce pays, vous verrez avec quel soin je protège les imams, les schérifs et tous les hommes de loi; vous y verrez également que j' ai nommé pour emir - adji Mustapha - Bey, Kiaya de seid Aboukekir (33), pacha gouverneur du Caire, et qu'il escortera la caravane avec les forces qui la mettront à l' abri des incursions des Arabes.

Je désire beaucoup que, par votre réponse vous me fassiez connaitre si vous souhaitez que je fasse escorter la caravane par mes troupes, ou seulement par un corps de cavalerie de gens du pays; mais dans tous les cas, faites connaitre à tous les négocians et fidéles que les musulmans n' ont pas de meilleurs amis que nous, de même que les schérifs et tous les hommes qui emplorent leur temps et leur moyens à instruire les peuples n' ont pas de plus zélés protecteurs, et que le commence non seulement n' a rien à craindre mais sera spécialement protégé.

J' attends votre reponse par le retour de ce courrier.

Vous me ferez connaitre également les besoins que nous pourriez avoir, soit en blé, soit en riz, et je neillerai a ce que tous soit envoyé.

Bonaparte "

Lettre 4 :

Au Caire, Le 6 pluvoise an 7 (25 janvier 1799)

Au Sultan de la Mecque

J' ai reçu la lettre que vous m' avez écrite, et j' en ai compris le contenu. Je vous envoie le reglement que j' ai fait pour la douane de Suez, et mon intention est de le faire exécuter ponctuellement.

Je ne doute pas que les négocians de l' Hygiaz ne voient avec gratitude la diminuation des droits que j' ai faite, pour le plus grand avantage du commerce, et vous pouvez les assurer qu' ils jouiront ici de la plus ample protection.

Toutes les fois que vous aurez besion de quelque chose en Egypte, vous n' avez qu' a me le faire savoir, et je me ferai un plaisir de vous donner des marques de mon estime.

Bonaparte "

Lettre 7 :

Au Caire, le 12 messidore an 7 (30 Juin 1799)

Au Schérif de la Mecque.

Au nom de Dieu clément et miséricordieux; il n' y a pas d' autre Dieu que dieu, et Mahomet est son prophete.

J' ai reçu votre lettre, et j' en ai compris le contenu.

J' ai donné les ordres pour que tout ce qui peut vous persuader de l' estime et de l' amitié que j' ai pour vous, soit fait.

J' espère qu' à la saison prochaine vous ferez partir une grande quantité de bâtimens chargés de café et de marchandises des I ndes : ils seront toujours protégés.

Je vous rémercie de ce que vous avus avez passer mes lettres aux Indes et à l' Ile de France; faites - y passer celles - ci, et envoyez - mois la réponse.

Croyex à l' estime que j' ai pour vous, et au cas que je fais de votre amitié.

Bonaparte "

Au Caire, le 12 messidor an 7 (30 Juin 1799)

Au Commandant de l' Ile de France

Je vous prie, citoyen - commendant, de faire payer au schérif de la Mecque la somme de 94,000 fr., que le payeur de l' armeé tire en trois lettres de charge sur le payeur de l' Ile de France, et dont la trésorerie nationale tiendra compte.

J' ai pensé devoir me servir de ce moyen pour avoir un canal sûr pour correspondre avec vous, malgré les croiseurs qui infestent la mer Rouge.

Je vous salue.

Bonaparte "

Lettre 8 :

Menou au Cherif de la Mecque

(Moniteur Universel, 15 hiv. an lx) a frimaire an lx (30 nov. 1800)

Au nom de Dieu clément et miséricordieux

Il n' y a de Dieu que Dieu, et Mahomet est son prophète. Abdullah Jacques Menou, général en chef de l' armée française, actuellement en Egypte, et y représentant le gouvernement de la republique française.

A l' illustre célèbre, le plus grand parmi les plus grands, le successeur de son agent le prophéte de Dieu, rempli d' esprit, de sagesse, de farce, toujours victorieux, le prince Ghalib, grand chérif des deux villes saintes, possesseur de la plus belle partie de l' Arabie.

I llustre prince et ami, après m' être informé de votre santé et vous avoir souhaité tout le bonheur que vous meritez et que vous pouvez désirer, je m' empresse de vous faire savoir que j' ai étè nommé au commandement général de l' armeé française actuellement en Egypte, après l' horrible assassinat commis sur la personne de votre ami le général en chef Kléber, mon prédécesseur. C'est le premier consul de la république française le plus célèbre parmi les guerriers européens, votre ancien ami Bonaparte, qui m' a nommé a sa place.

Je m' en félicite puisqu élle me met à portée de correspondre avec le plus saint de tous les princes qui suivent la vraie croyance, qui adorent Dieu et qui respectent son prophète.

Illustre prince, Bonaparte m' a charge de renouveler avec vous tous les traités d' amitié. Je m' empresse donc de vous faire savoir que vos sujets peuvent venir sans aucune crainte à Suez. Dorénavant aucune avanie, aucune vexation, ne seront commises contre les négociants, J'ai aboli tous les anciens droits pour n' en créer qu' un seul et unique, et si quelque Français, ou tout autre employé dans les douanes de Suez s' avisait de prendre un seul médin au delà de ce que j' ai fixé, il perderait a l' instant la vie. J' ai fait tout cela en votre considération, illustre prince. Je voulais cette année vous envoyer, comme par le passé, la caravane des pélerins de toutes les nations qui vont visiter les deux cités saintes. Je voulais vous envoyer le tapis qui doit couvrir la sainte Caaba, mais les circonstances de la guerre me l' ont pas permis. L' année prochaine, J' espére être plus hereux. Je choisir ai pour Emir Hadgi un musulman qui soit digne d' une si honorable fonction. Je ferai enfin tout ce qui sera nécessaire pour prouver, illustre prince, combien la republique française, désire être en bonne intelligence avec vous.

Je m' estime hereux d' être son organe, puisqu' elle me met à même de vous offrir les assurances bien sincéres d' une profonde estime.

Je prie Dieu et son prophète de vous accorder de longs jours une prospérité sans interruption et des victoires sans nombre sur vos ennemis.

P. - S. - Je vous envoie, illustre prince un tarif des douanes que J' ai établies dans toute l' Egypte. Vous y verrez que les droits sont bien moins considérables à Suez qu ils n' étaient autrefois. ".